إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الخامسة عشرة ـ العدد الثامن والخمسون ـ صيف ١٤٠٤ش/ حزيران ٢٠٢٥م
https://doi.org/10.82401/roc.2025.1218412
صص ١٤٦ ـ ١٢٥

التحليل النفسى لشخصية ابن عربى فى رواية "موت صغير" بناءً على هرم ماسلو للاحتياجات

مهدى يارى*
سيد مهدى نورى كيذقانى (الكاتب المسؤول)**
مهدى خرمى سرحوضكى***
حسين شمس آبادى****
عباس كنجعلى*****

الملخص

النقد النفسى هو أحد الأساليب الحديثة فى النقد الأدبى الذى يساعد فى فهم الأعمال من حيث تحليل الشخصيات. يرى أبراهام ماسلو، عالم النفس الإنسانى الأمريكى، أن الإنسان بفطرته يحتاج إلى النمو، وللوصول إلى هذا النمو، يجب أن يلبى خمسة أنواع من الاحتياجات: الاحتياجات الفسيولوجية والاحتياجات الأمنية والاحتياجات الاجتماعية واحتياجات التقدير واحتياجات تحقيق الذات. النقطة المهمة فيما يتعلق بتلبية هذه الاحتياجات هى أنه يجب أولاً تلبية احتياجات المستويات الدنيا حتى يتمكن الإنسان من الوصول إلى المستويات العليا ومرحلة تحقيق الذات. تعتمد الدراسة الحالية على هذه النظرية، وباستخدام المنهج الوصفى التحليلى، تبحث فى كيفية تحقيق الشخصية الرئيسية فى رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان، لذاتها. تتناول هذه الرواية شخصية وحياة ابن عربى، العارف الإسلامى الشهير. يمكن ملاحظة العديد من العقبات فى هذه الرواية التى تواجه مسار نمو ابن عربى، ولكنه يسعى بجدية لتجاوز هذه العقبات. تظهر نتائج البحث أن عملية تحقيق الذات لابن عربى تتناسب مع المعايير التى طرحها ماسلو لتحقيق الذات. إن وجود معايير مثل مقاومة الانصهار الثقافى والانعزال والتركيز على حل المشكلات فى شخصية الرواية الرئيسية هى من أبرز مكونات تحقيق الذات لديه. يسعى ابن عربى جاهداً للوصول إلى احتياجات المستويين الرابع والخامس من الهرم، وفى هذا المسار، ومع مقاومته للثقافة السائدة، يصل إلى مرحلة تحقيق الذات بتطهير قلبه من الرذائل.

الكلمات الدليلية: حاجة، تحقيق الذات، موت صغير، ابن عربى، أبراهام ماسلو.

*. طالب فى مرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلّية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران
**. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلّية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران
sm.nori@hsu.ac.ir
***. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلّية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران
****. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلّية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران
*****. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلّية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران

تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/٠٣/٢٩ق تاريخ القبول: ١٤٤٧/٠٦/٢٩ق

المقدمة

النقد النفسى هو أحد التوجهات الحديثة فى النقد الأدبى التى تساعد الباحث على فهم الجوانب النفسية لشخصيات القصة وشخصية الكاتب. باستخدام مناهج وأصول علم النفس، يمكننا دراسة خصائص الشخصيات الموجودة فى القصة.

الشخصية الرئيسية فى القصة هى العمود الفقرى لأى قصة أو رواية وتلعب دورًا محوريا فى تقدم السرد وجذب الجمهور. هذه الشخصية ليست مجرد ممثل للمؤلف للتعبير عن مفاهيم وموضوعات القصة، ولكنها أيضًا جسر للقارئ للتواصل مع العالم الذى أنشأه المؤلف. يسعى القارئ إلى فهم القصة من خلال فهم الشخصيات. الشخصية الرئيسية فى القصة أسهل فى الفهم من الشخصيات الأخرى. «يسعى القارئ إلى فهم الشخصيات بعمق، والشخصية الرئيسية، بسبب حضورها البارز، توفر أكبر فرصة لهذا الفهم.» (ميرصادقى ومهاجر، ٢٠١١: ٨٧) نظرًا لتوفر المزيد من المعلومات حول الشخصية الرئيسية فى القصة، يمكن دراستها بشكل أفضل.

سعى أبراهام ماسلو، عالم النفس الأمريكى، إلى دراسة طرق النمو ووصول الإنسان إلى النجاح. اشتهر ماسلو فى العالم بنظريته فى تدرج الاحتياجات المعروفة بهرم ماسلو. وفقًا لهذه النظرية، يمتلك البشر خمس فئات مختلفة من الاحتياجات، وأعلى هذه الاحتياجات هو الحاجة إلى تحقيق الذات. هذه الحاجة خاصة بالإنسان، وكل إنسان يسلك طريقه الخاص لتحقيق الذات. يستغرق تحقيق هذه الحاجة وقتًا أطول مقارنة بالاحتياجات الأخرى، وبإشباعها يشعر الإنسان براحة ورضا أكبر. وبتحقيق الذات، يصبح الإنسان شخصية فريدة، وبهذه الطريقة يتميز عن الآخرين.

نظرًا لأن ابن عربى، المعروف بالشيخ الأكبر، هو من أهم الشخصيات الصوفية فى العالم الإسلامى، ونظرية هرم ماسلو تعتبر نظرية بارزة فى تناول شخصية الإنسان وتحقيق الذات لديه، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الشخصية الرئيسية فى رواية "موت صغير" بناءً على النظرية المذكورة أعلاه، باستخدام المنهج الوصفى التحليلى بناءً على الطريقة الاستقرائية غير المكتملة، للإجابة على الأسئلة.

أسئلة البحث

١. بناءً على هرم ماســـلو للاحتياجات، كيف تصل الشخصية الرئيسية في الرواية المذكورة إلى تحقيق الذات، وما هي المراحل التي تمر بها؟
٢. وفقًا لنظرية ماســـلو، ما هي مكونات تحقيق الذات الأكثر بروزًا في الشخصية الرئيسية لهذه الرواية؟

فرضيات البحث

من خلال دراسة رواية "*موت صغير*"، يبدو أن ابن عربي يصل إلى تحقيق الذات من خلال تلبية الاحتياجات الأساسية (الفسيولوجية والأمنية والاجتماعية والتقدير). على الرغم من أنه في بعض مراحل حياته، واجه صعوبات في تلبية بعض هذه الاحتياجات. يبدو أن ابن عربي، كشخصية محققة لذاتها، قد أبرز مقاومة الانصهار الثقافي والانعزال والحاجة إلى الخلوة والتركيز على حل المشـــكلات، أكثر من أي مكونات أخرى لتحقيق الذات.

خلفية البحث

من بين الدراسات التي أجريت حول رواية "*موت صغير*" يمكن الإشارة إلى ما يلي:

يونس قربي في مقاله "*الشخصية وبناء الشخصيات في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان*" (١٣٩٩ش / ٢٠٢٠م)، يســـعى لتحديد أنواع الشخصيات الثابتة والديناميكية وغيرها في رواية موت صغير. وخلص كاتب المقال إلى أن علوان اســـتخدم مجموعة متنوعة من الشخصيات النمطية والنموذجية والثانوية والرئيسية وما إلى ذلك، وقدمها بطرق مختلفة.

مسعود باوانبوري، مهين حاجيزاده و خليل پروينى في مقال "*الاتصال غير اللفظي في رواية موت صغير لمحمد حســـن علوان دراسة ســـيميولوجية*" (١٤٤٢ق)، يحاولون دراســـة هذه الرواية من حيث الاتصالات غير اللفظية مثـــل تعابير العين، وحركات الرأس، واليد، إلخ. تشـــير نتائج المقال إلى أن علوان اســـتخدم الإشارات في روايته لتحديد أو توزيع الفراغات فيها. وقد استخدم الكاتب مرارًا وتكرارًا الأساليب التالية للتعبير عن رســـالته غير اللفظية حسب ترتيب وفرتها: حركات الرأس، واليد، والوجه،

والعين، والسلوكيات الصوتية، والحركات اللمسية والإيمائية، وحركات الجسم. وقد استُخدمت هذه الحركات للتعبير عن حالات مثل الغضب، والخوف، والقلق، والضيق، وغيرها. بالإضافة إلى ذلک، تُستخدم وسائل وأجهزة أخرى فی نقل رسائل الكاتب. ولأغلب هذه الرسائل وظيفة بديلة.

علی أسودی وزهرا إيزدی، فی مقال *"دراسة نموذج الحاكم الأولی فی رواية موت صغير بناءً علی نظرية بيرسون-كيمار"* (١٤٠٠ش/ ٢٠٢١م)، يبحثون فی التشابه بين نموذج "الحاكم" الأولی لبيرسون-كيمار ونظرية الإنسان الكامل لابن عربی. وتشير نتائج الدراسة، فی ضوء آراء ابن عربی، إلی وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين النموذج السائد ونظرية ابن عربی فی الإنسان الكامل بين النماذج الاثنی عشر لنظرية بيرسون-كيمار؛ بحيث يظهر البطل بعد مروره بمراحل الانطلاق والبدء والعودة خصائص النموذج السائد، وهی قريبة إلی حد ما من خصائص الإنسان الكامل عند ابن عربی، وكلاهما يحملان إلی حد ما معايير تحقيق الذات للشخصية.

طاهره حيدری، فی مقال *"دراسة شخصية ابن عربی فی رواية موت صغير لمحمد حسن علوان بناءً علی نموذج الأنيميا الأولی"* (١٤٠٠ش/ ٢٠٢١م)، تدرس تجليات نموذج الأنيميا (الجانب الأنثوی فی وجود الرجل) فی هذه الرواية. وفقًا لنتائج هذه الدراسة، كان للروح تأثيرٌ بالغٌ فی بناء أحداث القصة ووقائعها، وأوجدت مساحاتٍ من الصراع بين الشخصيات. وتشير النتائج إلی أن الجوانب الإيجابية للروح تجلّت فی صورة حبيب، ومرشد، ومرشدة، وما إلی ذلک.

محمدهادی مرادی وهادی عزيزی فی مقال *"تحليل رواية موت صغير علی أساس المنهج النفسی (نظريات فرويد ولاكان نموذجًا)"* (٢٠٢٢م)، وبناءً علی نظريات فرويد ولاكان، يقدمان ابن عربی كشخصية ماسوشية تعود جذور هذه الماسوشية إلی سلوک والد ابن عربی تجاهه، وأنه كان يسعی وراء المتعة، علی الرغم من أنه بتوجيهات معلمته، تخلی عن الكثير من هذه المتع ليصل إلی مكانة قطب الصوفية. وبحسب مؤلفی المقال فإن رواية موت صغير تحكی محاولة ابن عربی الهروب من ماضيه وتحقيق السلام.

طاهره حيدری فی مقال *"توظيف التاريخ فی رواية موت صغير لمحمد حسن علوان"*

(ربيع وصيف ٢٠٢٣م) تتحدث عن كيفية استخدام التاريخ في هذه الرواية وتخلص إلى أن علوان يستخدم التاريخ كإطار لكتابة الرواية، وهذا الاستخدام للتاريخ يجذب القارئ إلى الرواية.

سهيلا كاظم عليلو في رسالة الماجستير *"دراسة وتحليل عناصر القصة في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان"*، تسعى لتناول نوع القصة وطريقة سردها، وتوضح العناصر الأساسية للقصة وهي: الشخصية والراوي والموضوع والفعل والفكرة الرئيسية والزمان والمكان والأسلوب وزاوية الرؤية وحبكة القصة والرمز فيها.

بالنظر إلى ما سبق، يمكن فهم أن هذه الرواية لم تُدرس حتى الآن بناءً على نظرية هرم ماسلو، ولذا فإن البحث الحالي يعد جديدًا من هذه الناحية.

ضرورة البحث وأهميته

تعتبر نظرية ماسلو من النظريات البارزة المستخدمة في علم النفس. تتناول هذه النظرية مفهومًا مهمًا في حياة الإنسان وهو النمو. هذه النظرية ذات فائدة كبيرة في تحليل شخصيات القصة، خاصة الشخصية الرئيسية؛ لأن الكاتب يقدّم لنا تفاصيل أكثر عن الشخصية الرئيسية. موضوع رواية "موت صغير" هو حياة شخصية معروفة في العرفان النظري، والتي كانت أفكارها وأعمالها محط اهتمام العلماء من الشرق والغرب لسنوات عديدة. هذه الشخصية تتمتع بنمو كبير جدًا، مما جعلها تصل إلى هذه المكانة. لذا، تسعى هذه المقالة إلى دراسة عملية نمو هذه الشخصية العظيمة ضمن الإطار النظري لهرم ماسلو للاحتياجات والإجابة على الأسئلة المطروحة.

هيكل المقالة

في علم النفس، توجد مقاربات ومدارس مختلفة مثل الجشطالت والتحليل النفسي والسلوكية والمعرفية وإلخ. إحدى هذه المدارس هي المقاربة الإنسانية وهي المقاربة التي تعطي أهمية خاصة للإرادة والحرية الإنسانية وتؤمن بأن الإنسان يستطيع تحقيق النمو من خلال الوعي الذاتي. في هذه المدرسة، «يمكن للإنسان أن يؤثر على مصيره أو حتى يتحكم فيه». (كنجي، ١٣٩١: ١٠) تؤكد هذه المقاربة على حرية الإنسان في

اختيار مصيره. من أهم وأشـــهر الشخصيات فى هذه المدرسة هو أبراهام ماسلو. «كان يسعى لاكتشاف ما يحفز السلوك البشرى.» (رايكمان، ١٣٩٦: ٤٤٦) يعتقد ماسلو أن الإنسان، لكى يصل إلى النمو والكمال، يجب أن يلبى خمسة أنواع من الاحتياجات. هذه الاحتياجات الخمســـة هى: ١- الاحتياجات الفسيولوجية، ٢- الاحتياجات الأمنية، ٣- الاحتياجـــات الاجتماعية، ٤- احتياجات التقدير، ٥- احتياجات تحقيق الذات. النقطة المهمة فيما يتعلق بالوصول إلى النمو هى أنه يجب تلبية احتياجات المســـتويات الدنيا، مثل الاحتياجات الفســـيولوجية والأمنية، إلخ، حتى تظهر الاحتياجات التالية. على ســـبيل المثال، يجب أولاً تلبية حاجة الإنسان إلى الطعام والماء، إلخ (الاحتياجات الفسيولوجية) حتى يأتى دور الاحتياجات التالية مثل الأمن، إلخ. بعبارة أخرى، تلبية كل حاجة تدفع الإنســـان نحو الحاجة التالية. على الرغم من أن ماســـلو يؤكد أنه فى بعض الأحيان، ولأســـباب تحفيزية، يمكن للشـــخص أن يفضل احتياجات المستويات العليا على احتياجات المســـتويات الدنيا؛ على سبيل المثال، قد يتنازل عن سلامته من أجل الحب؛ (فيســـت وفيست، ١٣٩٠: ٥٩١) ولكن بشكل عام، فإن السبيل إلى تحقيق الذات هو تلبية الاحتياجات الدنيا. يمكن للإنســـان أن يقدم شـــخصيته الفريدة عندما يكون قد حقق ذاته. تحقيق الذات يســـاعد الإنسان على إيجاد هويته وشخصيته؛ هوية وشخصية تميزه عن الآخرين.

تعريف مؤلف الرواية وملخص القصة

محمد حسن علوان (ولد فى ٢٧ أغسطس ١٩٧٩م) روائى سعودى. ولد فى الرياض ودرس نظم المعلومات الإدارية فى جامعة الملك ســـعود. ثم تابع دراســـته فى إدارة الأعمال (MBA) فى جامعة بورتلاند وحصل على الدكتوراه من جامعة كارلتون عام ٢٠١٦م. فى عام ٢٠١٣م، ترشـــح لجائزة البوكر العربية عن روايته *"القندس"* وفى عام ٢٠١٧م فاز بالجائزة عن روايته *"موت صغير"*. هذه الرواية جلبت له شهرة واسعة.

تقدم هذه الرواية قصتين بشكل منفصل. القصة الأولى هى قصة حياة ابن عربى من طفولته حتى وفاته، والقصة الثانية تتناول تداول ســـيرته الذاتية فى فترات مختلفة. فى

هذه المقالة، سيتم التركيز على القصة الأولى.

تبدأ الرواية بأسلوب فني وعلى لسان ابن عربي نفسه. كما نقرأ في الصفحات الأولى: «أعطاني الله برزخين: برزخ قبل ولادتي و آخر بعد مماتي. في الأول رأيت أمي وهي تلدني وفي الثاني رأيت ابني وهو يدفنني. رأيت أبي يضحك مستبشرا ببكره الذكر وزوجتي تبكي مفجوعة في زوجها المسنّ.» (علوان، ٢٠١٦: ١٣)

بِناءً عَلى هذه الرّوايةِ، ولد ابن عربي في مرسية. كان والده على مقربًا من حاكم مرسية، محمد بن سعد بن مردنيش. قام ابن عربي بالعديد من الرحلات خلال حياته. كان يبحث عن أوتاده الأربعة ليقطع مسار السعادة. انتقل أولاً من مرسية إلى إشبيلية وكرس نفسه للدراسة. في نفس الوقت، بدأ العمل في البلاط الملكي وتفاعل مع شخصيات علمية في ذلك الوقت مثل ابن رشد. تزوج ابن عربي من فتاة تدعى مريم بنت عبدون وأنجب منها ابنة اسمها زينب. بعد جهود مضنية، وصل ابن عربي إلى وتده الأول، يوسف الكومي. شجّعه هذا الوتد على البحث عن الأوتاد الأخرى. بعد رحلات عديدة، أدرك أن وتده الثاني قد توفى وأن أحد أصدقائه القدامى قد حل محله. الوجهة التالية للعثور على الوتد كانت مكة. في هذه المدينة، وبعد العديد من التقلبات الروحية، وقع ابن عربي في حب نظام، ابنة الشيخ زاهر الأصفهاني. خلال هذه المعرفة، وقعت له أحداث مريرة؛ فقد ابنته وتركته زوجته، وبعد فترة توفيت. لم يؤَدِّ حب ابن عربي لنظام بالزواج، وبقي فاشلاً في هذا المسعى. خلال الأحداث اللاحقة للقصة، أدرك ابن عربي أن سبب معارضة نظام لهذا الزواج هو أنها وتده الثالثة. كانت ثمرة إقامته في مكة هي تأليف كتاب "الفتوحات المكية". واصل ابن عربي البحث عن وتده الرابع حتى وجده في ملطية. إن وتده الرابع لم يكن سوى شمس تبريزي. بعد أن وجد الأوتاد الأربعة، وصل إلى مقام قطب الصوفية. مع مرور الوقت، وبسبب آرائه، تعرض لغضب العلماء، واضطر للعمل كبستاني، واستمر في كسب رزقه بهذه الطريقة حتى وفاته. بالطبع، تروى أحداث القصة بأسلوب فني للغاية وباستخدام تقنيات سرد حديثة مختلفة مثل الفلاش باك وتيار الوعي وما إلى ذلك، وكما ذكر في البداية، تروى في الواقع قصتان من الماضي والعصر الحديث في رواية واحدة.

تحليل ومراجعة بيانات الرواية بناءً على احتياجات ماسلو

فى هذا القســـم، سنقوم بتحليل ومقارنة الاحتياجات الخمسة لهرم ماسلو مع مسار تشكل شـــخصية ابن عربى. يبدأ مسار ابن عربى فى النمو وتحقيق الذات من الحاجة الأساسية (الفسيولوجية) ويصل إلى مرحلة تحقيق الذات.

الاحتياجات الفسيولوجية

أول مســـتوى من الاحتياجـــات فى هرم ماســـلو هو الاحتياجات الأساســـية والفســـيولوجية. يجب على الإنسان أن يلبى احتياجاته الفسيولوجية للبقاء. إذا لم تُلبّ هذه الاحتياجات، فســـيظل الشخص منخرطًا فيها دائمًا، وسيحرم من فرصة الوصول إلى مستويات أعلى من الهرم. بمعنى آخر، تُعتبر هذه الاحتياجات بمثابة العمود الفقرى لهرم الاحتياجات، وهى ذات أهمية بالغة. «تشـــمل هـــذه الاحتياجات: الحاجة إلى الهواء والطعام والماء والمأوى والاحتياجات الجنســـية والنوم.» (سيف، ۱۳۹۰: ۲۳٤) من ناحية أخرى، فى العرفان والتصـــوف، يظهر إهمال أو قلة الاهتمام بالاحتياجات الجســـدية والمادية بشـــكل بارز، ويشـــار إليها أحيانًا بالرياضة. من منظور الصوفية، «الرياضة هى جهد للانفصال عن الحياة الحيوانية والاتصال بالحياة الروحانية الطيبة، وهى أساس الســـلوك.» (يثربى، ۱۳۹۷: ۸۲). مع هذا الافتراض المسبق، من المتوقع أن تكون حياة الشـــخصية الرئيســـية فى رواية *"موت صغير"* قائمة بالكامل على هذه الرياضة وإجهاد الجسد؛ ومع ذلك، فإنه لا يرى نفسه بعيدًا عن هذه الاحتياجات؛ بل فى أجزاء مختلفة من هذه الرواية، يشار إلى الاحتياجات الفسيولوجية وطرق تلبيتها. «إذا سهرت لأشهد مطالع الأنوار الإلهية ضيعت على ذلك حشية الصوف بالنّوم، وإذا لزمت الصمت لأسمع حفيف الأسرار القدسية قرقرت بطنى.» (علوان، ۲۰۱٦: ۸)

بالطبع، من الواضح فى هذه المرحلة أن ابن عربى يشـــكو من الحجاب الذى تسببه له هذه الاحتياجات، ويعتبرها مانعًا لسلوكه؛ لأنه فى التصوف «بالرياضة يمكن تجاوز المنـــازل والمقامات، والســـلوك يتأثر بـ 'الأمن والراحة'، ويكتمل بتحمل المشـــقات والبلاء.» (يثربى، ۱۳۹۷: ۸۲)

في مكان آخر، يشـــار إلى هذه الاحتياجات بشـــكل غير مباشر. بعد أن يكتشف الخليفـــة أن ابن عربي قد تزوج، يقرأ مازحًا من كتاب أسماء الأطعمة التي تزيد الرغبة الجنســـية، ثم يأمر بطهي مثل هذه الأطعمة لابن عربي. «يا حاجب! قل للطاهي يجعل في عشـــائنا من كل ما سمعت ما كان موجودا، فيأكل ابن عربي ما يزيده وآكل أنا ما ينقصني.» (علوان، ٢٠١٦: ١٦٦)

لذلك، في الرواية المذكورة، لم يتم تجاهل الاحتياجات الفســـيولوجية بالكامل؛ بل إن سير الأحداث يسير بطريقة طبيعية حيث تبدأ الشخصية الرئيسية في تلبيتها تدريجياً لتقليلها والتقدم نحو الكمال المنشود والسمو. في التعاليم العرفانية الإسلامية الصحيحة أيضًا، أُشير إلى أهمية هذه الاحتياجات. تلبية هذه الاحتياجات توفر الأساس للتطور الروحي والمعنوي للشـــخص وعدم الاهتمام بهذه الاحتياجات أو الاهتمام بها قليلاً، يؤدي إلى الكفر والانحراف عن الصراط المستقيم. هذه النقطة المهمة هي نقطة التناقض بين الإسلام والصوفية الخاطئة غير الإسلامية أو المنسوبة إلى الإسلام. يمكن رؤية هذا التناقض في معارضة الإســـلام للرهبانية المبتدعة على طريقة النصارى وترك الزواج. وقد نُهيت هذه الرهبانية في الأحاديث: «لا رهبانية في الإسلام.» (ابن حيون، ١٣٨٥ هـــ ق، ج٢: ١٩٣)، وعن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وســـلم) في ذم الفقر والعوز الـــذي يؤدي إلى عدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساســـية، نُقل: «كاد الفقر أن يكون كفرا.» (الكليني، ١٣٧٥، ج٢، ٣٠٧)

الاحتياجات الأمنية

بعد تلبية الاحتياجات الفســـيولوجية، يأتي دور الاحتياجات الأمنية. يشمل هذا الأمن الحياة والوظيفة والأمن المالي والاســـتقرار والقدرة على التنبؤ. يحتاج البشـــر إلى التخطيط في حياتهم ووجود الأمن في هذه المجالات يشـــكّل أساسًـــا للتخطيط. «كلما تقدمنا نحو المســـتوى الثاني من هرم ماسلو، أصبحت الاحتياجات أكثر تعقيدًا قليلاً.» (شولتز، ١٣٨٩: ٣٤٨) يحتاج الشخص في هذه المرحلة إلى «الأمن والاستقرار والانتماء والدعم والوظيفة والعائلة والممتلكات والصحة والســـلامة الجســـدية، إلخ.»

(ماســـلو، ١٣٧٢: ٧٤) يصف ابن عربى برزخه الأول بالـــولادة والخروج إلى الوجود ويصف انفصاله عن الرحم ودخوله العالم الجديد بأنه أمر محزن؛ ولكن أول ما يزيل هذا الحزن هو أن فاطمة بانو بنت مثنى، قابلة ابن عربى ومرشدته نحو النمو والسمو، تحتضنه وتمنحه شـــعوراً بالراحة والأمان. «وهى أيضا اتخذتنى ابنا روحيا لها مذ حطت عيناها على وجهى وغمرتنى بحنانها الجارف الذى كان عزائى الأول فى فراق برزخى وزادى فى ابتداء رحلتى.» (علوان، ٢٠١٦: ١٤)

ولد ابن عربى فى مرســـية وأقام فيها لعدة سنوات. كان حاكم هذه المدينة، محمد بن ســـعد بن مردنيش، من حكام المرابطين. الموحدون، أعداء المرابطين، كانوا قد احتلوا أجزاء واســـعة من الأندلس باستثناء مرسية. كانت مرســـية محاصرة، وقد تسبب هذا الحصار فى انعدام الأمن ونقص المؤن العامة، إلخ. عندما استسلمت مرسية للموحدين وسقطت المدينة فى أيديهم، استتب الأمن والهدوء إلى حد ما. «دبت الحيات فى أوصال المدينة مرة أخرى ففتحت الحوانيت الموصدة وانتعشـــت الأســـواق المهجورة وعادت أصوات الباعة تملأ أسماع مرسية.» (علوان، ٢١٠٦: ٤٨)

بالطبع، تجدر الإشارة إلى أن ابن عربى فى جزء من الرواية يشير إلى عدم اكتراث المتصوفة بانعدام الأمن والصعوبات التى تعترض سبيل توفير الضروريات. عندما كان ابن عربى مقيمًا فى دمشـــق، تمت محاصرة المدينة بأمر من "الكامل"، حاكم القدس. بعد أن يذكر ابن عربى المشاكل التى لحقت بالناس، يقول عن وضع المتصوفة: «أما الكامل فإنه فور أن أنهى تسليم القدس للفرنجة اتجه نحو دمشق لينزعها من ابن أخيه. وحاصرنا فيها ســـنةً ضاق فيها المترفون بانقطاع الأنهار عن ســـواقيها ونهب الحواصل التى فى رساتيقها وغلت الأسعار غلاءً فاحشاً.» (المرجع نفسه: ٥٨٤) إنّ هذه العبارة تعبر عن وضع ابن عربى نفســـه؛ شـــخصية محققة لذاتها تكتفى بأقل القليل من العيش والأمان، وقد أعدت نفسها لمواجهة الأيام الصعبة. يسعى المتصوفة بالتركيز على الأمور الروحية والابتعـــاد عن هموم الدنيا إلى تحقيق حاجة تحقيق الذات. بهذه الطريقة، يســـعون إلى الوصول إلى الكمال الروحى. ومع ذلك، فمن البديهى أن العرفاء أيضًا يحتاجون حتمًا إلى الحد الأدنى من الإمكانيات لتلبية الاحتياجات الأساسية.

الاحتياجات الاجتماعية

في المرحلة الثالثة، يسعى الإنسان إلى تلبية الاحتياجات الاجتماعية. في هذه المرحلة يسعى الإنسان إلى الشعور بالانتماء والصداقة؛ الشعور بالانتماء إلى مجموعة من الأصدقاء والعائلة والوالدين وما إلى ذلك. ويحاول خلق هذا الشعور في نفسه بطرق مختلفة. بعد تلبية الاحتياجات الأمنية، «تبرز الحاجة إلى الحب والمودة في بداية المرحلة التالية لدفع الإنسان إلى الأمام؛ ولهذا السبب، تنشأ في الإنسان رغبة شديدة في التواصل العاطفي مع الآخرين.» (محمد، ١٩٩٨: ٤٥٧-٤٥٣)

في هذه الرواية، يقع ابن عربي في حب فتيات. إحداهن تُدعى "جالا"، وهي ابنة فريدريک، صديق ابن عربي المسيحي؛ (علوان، ٢٠١٦: ١٣٧) على الرغم من أن هذا الحب لا يكلل بالنجاح. الشخصية الأخرى هي مريم بنت عبدون، التي تصبح زوجته. يصف ابن عربي وجودها على النحو التالي: «أقبلت على بكل ما في قلبها من شجر يورق للتو. أطعمتني رضا وسقتني سلاما وأفرشتني طمأنينة وراحة. ما كنت لأطيق إشبيلية لو لم تكن فيها.» (المرجع نفسه، ١٦٤) تُظهر هذه الجملة بوضوح مدى تأثير الاحتياجات الاجتماعية والعاطفية على شعور الإنسان بالرضا والسعادة. إن وجود شخص ذي قيمة في الحياة يمكن أن يمنح الإنسان شعوراً بالأمان والانتماء والراحة، ويساعده على مواجهة تحديات الحياة بشكل أفضل. تبرز هذه الجملة أهمية العلاقات الإنسانية ودورها في تلبية الاحتياجات الأساسية. يمكن القول إن مريم تلعب دور السند العاطفي ومصدر الإلهام لابن عربي، وتساعده على الشعور بتحسن في مدينة إشبيلية. هذا الشعور بالانتماء يجعل إشبيلية محتملة لابن عربي ويساعده على التكيف مع العيش هناك.

لكن أهم حبٍّ خاضه ابن عربي في حياته كان حبّه لنظام؛ ابنة الشيخ زاهر الأصفهاني التي التقى بها في مكة. يقول ابن عربي عن مدى تعلقه بنظام: «... نظام هي أول عهدي بالنساء وأول امرأة أشعر معها باكتمال الحب وانسياق العاطفة وخضوع الروح وطمأنينة الجوارح.» (علوان،٢٠١٦: ٣٣٤) كان حب ابن عربي لنظام لدرجة أنه كان يرى فيها أول امرأة اختبر معها الحب الحقيقي؛ وكأن النساء اللواتي سبقنها، حتى

زوجته، لم يدخلن قلبه بقدر نظام. كان لابن عربى ونظام الكثير من القواسم المشتركة فى الحديث. كانت نظام من العلماء والمتعلمات فى عصرها، وكان ابن عربى يستطيع أن يمضى ساعات معها دون أن يشعر بالتعب. كان ابن عربى يحب نظام من كل قلبه ويشعر بعشقها الملتهب فى داخله؛ لكن هذا الحب لم يتوج بالزواج؛ لأن نظام هى وتد ابن عربى الثالث، وبالتالى لا يمكنه الزواج منها.

احتياجات التقدير

احتياجات التقدير هى الفئة الرابعة من الاحتياجات التى يشير إليها ماسلو. تُلبّى احتياجات التقدير على شكلين: احترام الذات واحترام الآخرين. يحترم الشخص بنفس الطريقة التى يرى بها نفسه؛ كما يبدو محترمًا فى عيون الآخرين. «إشباع هذه الاحتياجات يؤدى إلى احترام الإنسان لذاته واحترام الناس له؛ وفى هذه الحالة، يصبح موقعه وهويته ثابتة وينجذب نحو العمل وتحقيق النجاح.» (مبروک، ٢٠١١: ٦٣) بالطبع، «تنقسم هذه الحاجة إلى فئتين فرعيتين: ١- الحاجة إلى القدرة والنجاح والمهارة والكفاءة والاستقلالية والحرية، ٢- الحاجة إلى الاعتبار والمكانة والشرف والشهرة والأهمية.» (ماسلو، ١٣٦٧: ١٥٤)

بذل ابن عربى جهودًا كبيرة فى تحصيل علوم ومعارف عصره، وأصبح من أبرز الشخصيات العلمية فى عصره. وقد أدت هذه المكانة العلمية الرفيعة إلى تمتعه بمكانة عالية لدى حكام عصره، الذين كانوا يسعون إلى حضوره فى بلاطهم. كان معاشرة الحكام والخلفاء تعتبر من علامات الاعتبار والأهمية، وقد حظى ابن عربى بهذه الصحبة. أقام الخليفة فى إشبيلية لفترة. وقد سمع سابقًا من ابن رشد عن ابن عربى، وبعد أن علم بعبقريته، قال له: «لا تفارق مجلسى هذا حتى أرحل من إشبيلية.» (المرجع نفسه: ١٦١)

إن احترام الحكام والوجهاء لابن عربى يساهم فى رفع مكانته الاجتماعية. على الرغم من أن ابن عربى ليس شخصية تسعى بأى ثمن لكسب احترام الحكام؛ إلا أن هذا الأمر يدفع الناس الذين يولون اهتماماً كبيراً لآراء الحكام، إلى النظر إلى ابن عربى كإنسان رفيع القدر وتقديم احترام خاص له.

بالإضافة إلى الاحترام الذى ناله ابن عربى من الحكام والناس، كان العلماء الذين كانوا علـــى دراية بالجوانب العلمية والعرفانية لابن عربى، يكنون له منزلة خاصة. من الأمثلة التى يمكن ذكرها، احترام العلماء لابن عربى فى مدينة فاس. يتحدث عن لقاءه بعلماء المدينة والاحترام الذى كانوا يكنونه له. «وســـرعان ما شعر بى الأولياء وأهل الطريق. يفدون إلى النُّزل ويســـألون عنى فإذا لقيتهم ابتسموا وابتسمت، وعرفوا شأنى وعرفـــت.» (علوان، ٢٠١٦: ١٧٤) فإن العلماء الذين كانـــوا أهل فكر وقلم، اعترفوا بمكانة ابن عربى الرفيعة وأكنـــوا له احتراماً خاصاً. هذا الاحترام، الناتج عن المعرفة والفهم، ســـاعد ابن عربـــى على تلبية الحاجة الرابعة، ولم يشـــعر بأى نقص من حيث الاحترام والمكانة الاجتماعية.

احتياجات تحقيق الذات

تأتى هذه الاحتياجات فى أعلى الهرم فى هرم ماسلو للاحتياجات. فى هذه المرحلة، يسعى الإنسان إلى تحويل نفسه إلى شخصية قادرة على تحقيق إمكاناتها ومواهبها. من خلال تحقيق الذات بنجاح، يمكن للشـــخص أن يكتسب هويته وشخصيته الفريدة، ومن خلال إشـــباع هذه الحاجة تتحقق فردية الشخص ويمكنه تحقيق شخصيته المميزة. يرى ماســـلو أن "البشـــر لديهم حاجة واعية لتحقيق الذات ويريدون أن يصبحوا ما يمكنهم أن يكونوا. «أهم خصائص تحقيق الذات فى نظرية ماســـلو هى كالتالى: ١ـ فهم أفضل للواقع والتواصل معه ٢ـ مقاومة الانصهار الثقافى ٣ـ قبول الذات والآخرين والطبيعة ٤ـ العفوية والبســـاطة والطبيعية ٥ـ جودة الانعـــزال والحاجة إلى الخلوة ٦ـ الإبداع والابتكار ٧ـ التركيز على حل المشـــكلات.» (ماسلو، ١٣٦٩: ٢٣٨-٢١٦) يرى ابن عربى أن معرفة الله والوصول إليه هو أســـاس تحقيق الذات. «يدرك الإنسان الكامل معرفة الكنز الخفى؛ المعرفة التى هى غاية الله من خلق العالم.» (شـــيتيک، ١٣٩٣: ٩٨) فى هذا الجزء، سنتناول هذه الخصائص.

فهم أفضل للواقع والتواصل معه

يسعى محققو الذات إلى قبول الواقع كما هو، لا كما يرغبونه. بمعنى آخر، لا يكتفون

بالتمنـــى، ولا يريدون فرض رغباتهم على الواقع الموضوعى. يصاب ابن عربى أحيانًا بالإحباط فى بحثه عن الأوتاد، ويحزن لأنه لا يســـتطيع العثور على وتده بســـرعة. فى هذه اللحظات، يتذكر نصيحة فاطمة بانو التى قالت: «طهّر قلبك ... ثم اتبعه.» (علوان، ۲۰۱٦ : ۱۹٤) يستنتج ابن عربى من تذكر هذه المقولة ما يلى: «يا الله! لو علمت فاطمة أن البحث عن وتد فى أفريقية كلها أسهل من تطهير القلوب.» (المرجع نفسه، ۱۹۵) هذه الجملة تدل على أن ابن عربى يؤمن بخطأ الإنسان ولا يعتبر نفسه معصوماً عن الخطأ أو الذنب. إنه لا يقع فى الوهم، وهذا الفهم يجعله متواضعاً؛ أى أنه لا يرى نفسه أفضل من الآخرين ولا يحكم على الآخرين بســـهولة. إنه يعلم أنه دائمًا معرض للزلل والسقوط فى هاوية الفســـاد، ويسعى باستمرار لمراقبة ســـلوكه وقوله وفعله. من ناحية أخرى، يســـعى دائمًا لإصلاح حاله الداخلى، ويتابع بجدية ومثابـــرة مثالية تطوره الأخلاقى والروحى، ويبتعد عن الذنوب. كما يلاحظ فى الرواية، يقترب خطوة بخطوة من المراتب العرفانية العالية والمعرفة الإلهية، ويصل إلى درجة يصبح فيها قدوة للسّالكين إلى الله.

مقاومة الانصهار الثقافى

الأشـــخاص الذين يحقّقون ذواتهم، لديهم طريقهم الخاص فى التفكير، ولا يسعون إلى التوافق مع المجتمع والثقافة الســـائدة. إنهم يتمتعون بشـــجاعة كبيرة ولا يريدون التوافق مع الحشـــود ويقولون أو يفعلون شـــيئًا يتعارض مع آرائهم ورغباتهم، لمجرد الخوف من الفضيحة. مقاومة الانصهار الثقافى تعنى «مقاومة التماهى مع الجماعة وعدم الذوبان فى اللوائح والعادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية.» (شاملو، ۱۳۸۸: ۱٤۱) فى الواقع، يمكن القول إن هؤلاء الأشـــخاص «يدارون ويوجّهون بطبيعتهم الداخلية.» (كريمى، ۱۳۷۸: ۱٦٤) إنّ الشخصية الرئيسية فى رواية "موت صغير" تختبر تحقيق الذات وخصائصـــه المختلفة فى مراحل مختلفة من حياته. لقد انضم إلى صفوف رجال الله منذ نعومة أظافره؛ لذلك، وقف فى وجه الثقافة الســـائدة فى عصره، وتجلى هذا الموقف فى مجالين: الرياضات الفرديـــة ومقاومة الإغراءات والعروض المالية والمناصب المختلفة.

أحد هذه المواقف هو عندما يتصرف بخلاف ســـيرة والده. والد ابن عربى من رجال

البلاط ويعمل في خدمة السلطة الحاكمة. عادة في مثل هذه العائلات، يسعى الأب إلى أن يسلك أبناؤه هذا الطريق ويستفيدوا من السلطة ومزاياها. كان والد ابن عربي يرغب في ذلك أيضًا، وأدخل ابن عربي إلى البلاط. دخل ابن عربي البلاط في البداية وانشغل بشؤون البلاط؛ لكنه تدريجياً تراجع عن العمل في البلاط وانشغل بتحصيل العلم. «رفعت ذكر أبي. أعرف ذلك. ولكني خالفت دربه و نفرت من العمل في بلاط الملوك.» (علوان، ٢١٠٦: ١٥) يرى القرآن أن سبب معارضة بعض الناس لتعاليم الوحي هو اتباعهم لآبائهم في اختيار الدين والعقيدة: ﴿وَ إِذا قيلَ لَهُمُ اتَّبِعوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَينا عَلَيهِ آباءَنا...﴾ (البقرة/ ١٧٠) ولهذا السبب، فإن ابن عربي، باعتباره شخصية محققة لذاتها، لا يسير على نهج أبيه ويظل وفياً للطريق الذي اختاره.

مثال آخر على اختلاف ابن عربي عن والده في أسلوب الحياة يرويه أحد أصدقاء والده. يأتي هذا الصديق العائلي ذات يوم إلى منزلهم ويعترض على والد ابن عربي لكونه في البلاط وكيف تعلق بالدنيا؛ بينما هناك آخرة مقبلة ويجب أن يخشى عاقبة الأمور؟ ثم يقارن ابن عربي بوالده: «أدنى الشيخ رأسه لينظر في عيني أبي و قال له بصوت أخفض قليلا: أما لك في ابنك هذا موعظة؟ شاب صغير في شهوته قمع هواه وطرد شيطانه وعدل إلى الله تعالى ويصاحب أهل الله ...» (المرجع نفسه: ١٨)

إذن، بهذا التوضيح، يمكن فهم أن ابن عربي لم يتبع طريقة أبيه، وقد بذل جهده لمقاومة ثقافته العائلية. بالطبع، كان هذا أحد سمات العرفاء المنشغلين بهموم الناس والمنتمين إلى الشعب على مر التاريخ. «تلبية احتياجات الناس لدى الحكام والأمراء كانت إحدى المهام التي كان العلماء والعرفاء يرون أنها تقع على عاتقهم، وكانوا دائمًا صوت المظلومين والمحتاجين في القصور والبلاط. بالطبع، كانت المصالح الشخصية لبعض العلماء أهم من تحقيق العدالة للمحتاجين، ولهذا السبب لجأوا إلى التملق وتبرير تصرفات الملوك والحكام. ابن عربي هو أحد عرفاء النوع الأول.» (أبوزيد، ١٣٨٥: ١٤٦)

من الأمثلة الأخرى على مقاومة الانصهار الثقافي، عدم قبول آراء كبار العلماء في عصره. في أحد دروس ابن عربي، حيث كان تلميذاً، يقتبس أستاذه قولاً لابن رشد. كان ابن رشد يعتقد أن الخير هو ما يقوله العقل، والشر هو ما يكرهه العقل. بعد سماع هذا

القول، يقول ابن عربى لنفسه: «ويحه! فأين وجيبُ القلب وكشف الرب؟» (المرجع نفسه: ١٢٥) يؤمن الفلاسفة بالمنهج العقلى، بينما يؤمن العرفاء بالمنهج المستمد من الكشف والشهود القلبى. كان ابن رشد من العلماء المشهورين فى عصره، وقلما كان أحد يخالفه فى الرأى. يعبر ابن عربى بهذا النقد عن إيمانه بصحة المنهج العرفانى، ويسعى فى حياته دائمًا إلى الكشف والشهود القلبى وتزكية النفس، ويريد دائمًا الوصول إلى الحقيقة؛ لا مجرد معرفتها.

قبول الذات والآخرين والطبيعة

الشخص المُحقق لذاته يعرف نفسه جيدًا، ويدرک سماته ونقاط قوته وضعفه. يعبّر عن نقاط قوته ويعززها، ويسعى لتعويضها بقبول نقاط ضعفه. كما يقرّ بحق الآخرين فى نقاط ضعفهم. بقبوله هذه النقطة، يتفاعل مع الناس بتعاطف، ولا يسارع إلى رفضها. ابن عربى، بعد أن ينغمس فى الماديات والملذات، ينظر إلى نفسه ويدرک أنه ابتعد عن مسار حياته الأصلى، وهو تطهير قلبه، ويصف نفسه على النحو التالى: «شعرت أنى لوثت قلبى الذى أمرتنى فاطمة بتطهيره. جالست الخليفة واعتدت على طعام القصور. تزوجت مريم واعتدت على لذة الجسد. تسلمت العطاء واعتدت على امتلاء الجيب. لا عجب إذن أن يحيق بى هذا الضيق والكدر.» (علوان، ٢٠١٦: ١٧٨)

من علامات قبول الآخر، التغاضى عن بعض أخطائهم وعيوبهم. يظهر ابن عربى هذا القبول فى تعامله مع شرب عمّه للخمر فى شهر رمضان أيضاً. فبعد أن يرى عمه يشرب الخمر فى المتجر، يخرج مسرعاً من المتجر ويتظاهر بأنه لم يلاحظ شيئاً. «وصلت حانوته ودخلت دون أن أسلم لأجد عمى يشرب من جرة خفية وقد أولانى ظهره. تراجعت هلعا لشربه فى وقت الصيام ولم يرنى. ثم عدت وناديته من الخارج وكأنى جئت لِتَوّى فأذن لى بالدخول.» (المرجع نفسه: ٨٤)

بعد أن يعتزل ابن عربى فى المقبرة لفترة، يعود إلى المنزل. فى هذا الوقت، يوبخه والده. ينتقد والده حاله، ويردّ ابن عربى عليه بأن الله قد نصحه وأرشده. يسأل والده بتعجب: «ولماذا يعظک أنت من دون العالمين؟» فيجيب ابن عربى: «لأنى ولى من

أوليائـــه.» (علوان، ٢٠١٦: ١٥٤) تدل هذه الإجابة من ابن عربي على اعترافه بقدرته على بلوغ مقام الولاية، ويدافع عن نفسه بثقة كاملة أمام توبيخ والده.

العفوية والبساطة والطبيعية

هذه السّـــمة تجعل الشخص المُحقق لذاته ينأى بنفسه عن أي ادعاء أو نفاق، ويظهر حقيقته. فهو لا يريد أن يظهر نفســـه كشخص آخر بوضع قناع على وجهه الحقيقي. لديه علاقة جيدة بذاته الحقيقية، ولا يشـــعر بأي خوف من التعبير عنها. وفقًا لماسلو، «يمكن وصف جميع الأفراد المحققين لذواتهم بأنهم عفويون نســـبيا في ســـلوكهم، وأكثر عفوية بكثير في حياتهم الداخلية وأفكارهم.» (ماســـلو، ١٣٧٢، ٢٢١) سلوك هؤلاء الأفراد فطري وداخلي، ولا يتصرفون بطريقة نمطية أو قالبية. «ســـلوك المحققين لذواتهم مفتوح تمامًـــا، طبيعي وواضح. لا يخفي المحققون لذواتهم مشـــاعرهم وعواطفهم عادةً ليكونوا شيئًا ليســـوا عليه.» (كريمي، ١٣٧٤: ١٦) يتصرف ابن عربي في بعض المواقف ببساطة شـــديدة وطبيعية وبعيدًا عن التكلف. أحد هذه المواقف هو عندما يبكي ابن عربي في صفّه أمام الطّلاب. إنّ ســـبب بكائه هو تذكره لحظة انفصاله عن فاطمة بانو بنت مثني. هذا الانفصال حدث في طفولة ابن عربي، والآن بعد ســـنوات عديدة، يبكي في درس دون أن يشـــعر بالخجل من طلابه. «فكنت أتذكرها بعد سنوات في درس من الدروس وحولي تلاميذي، فأبكي بينهـــم فجأة دون مقدمات...» (علوان٢٠١٦ : ٤٣) إنه يحترم مشاعره وعواطفه ويعبر عنها؛ دون أن يخجل من أحد أو يتأثر بوضعه ومكانته.

جودة الانعزال والحاجة إلى الخلوة

في بعض الأحيان، ولأســـباب عدة، يميل الشخص إلى الابتعاد عن رفقة الأصدقاء والزملاء، إلخ، ويصبح منعزلاً. توفر الخلوة فرصة للشـــخص المحقق لذاته لفحص نقاط قوته وضعفه، وتقييم المســـار الذي اتخذه، ودراسة طرق تحقيق أهدافه. «يسهل عليهم أن يكونـــوا منعزلين وهادئـــين ورصينين. ربما يكون هذا بســـبب رغبتهم في الثقة في فهمهم الخاص لموقف ما.» (ماســـلو، ١٣٧٢: ٢١٨) بين العرفاء، العزلة شـــائعة جدًا، وفيها يمارسون العبادة، ومحاســـبة الأعمال، والتفكر في الخلق، إلخ. يسعى العرفاء إلى

التحول إلى الإنسان الكامل؛ أو على الأقل الاقتراب من هذه المكانة. العزلة والانعزال يساعدان العارف على تحقيق هذا الهدف. «... وكلما توغل فى داخله وقطع ارتباطه بالخارج أكثر، [كلما اقترب من مقام الإنسان الكامل].» (مطهرى، ١٣٨١: ١٧٥) لتحقيق "الاهتمام بالداخل وإهمال الخارج"، يمكن أن تكون العزلة خيارًا مناسبًا للعارف؛ لأنه يجد كل ما يحتاجه فى داخله. يعبّر الشاعر الإيرانى حافظ الشيرازى عن هذا المعنى بقوله: «سالها دل طلب جام جم از ما می‌کرد/ آنچه خود داشت ز بیگانه تمنا می‌کرد» «لسنوات طلب القلب كأسَ جم منا / ما كان يملكه هو، تمناه من الغريب» (حافظ، ١٣٧٦: ١٣٧) وكما يقول الشاعر الصوفى الشهير الآخر جلال الدين المولوى: «در خود بطلب هر آنچه خواهی که توئی» (اطلب كلَّ ما تريد فى نفسك!) (مولوى، ١٣٧٤ش، ج٢: ١٤٢٦) فى أجزاء كثيرة من هذه الرواية، يلجأ ابن عربى إلى الانعزال، ويرى أنه ضرورى جدًا له. يقول عن مدة عزلته: «فعلمت أنى بلغت المعتزل الذى يليق ببيعتى قطبا بعد خمسين سنة على طريق الله المحفوف خلوة وسفرا وجوعا ورياضة ومجاهدة.» (علوان٢٠١٦ :٩) يبدو أن ابن عربى، باستمراره فى العزلة، تمكّن من أن يصبح قطب الصوفية. العزلة شرط أساسى لكى يصبح العارف قطبا. هذه العزلة تصل إلى حد النوم فى القبور؛ بحيث لا يستطيع أحد أن يبحث عن ابن عربى. «وجدت نفسى أخيرا فى المقبرة، فدخلت وسلمت وجلت بين القبور فشعرت بسكينة. ثم لمحت قبرا خربا قد صار أشبه بمغارة صغيرة، فجلست فيه وبدأت أقرأ القرآن.» (المرجع نفسه: ١٥١)

الإبداع والابتكار

يساعد الإبداع والابتكار الشخص الذى يحقق ذاته على التعبير عن فرديته. إنّه يقدّم وجهات نظره ومشاعره وتجاربه الفريدة للآخرين. التعبير عن الفردية يساعد الفرد على ترسيخ هويته والشعور بقيمة أكبر. يمكنه من خلال ذلك حل المشكلات بطرق جديدة. يشعر الشخص المبدع بقيمته ويفتخر بنفسه. يعتبر ابن عربى أحد أكثر الكتاب إنتاجًا فى العالم الإسلامى. «تُظهر أعماله الباقية سيطرته الواسعة وإحاطته بجميع مجالات الفكر الصوفى فى عصره، وقد اعتبر ابن عربى بحق أحد أكثر الشخصيات الأدبية والصوفية

والفلسفية إنتاجًا وتأثيرًا في العالم الإسلامي.» (مير آخوري وشجاعي، ١٣٧٦ هـ ش: ١٨) «في رسالة كتبها من دمشق عام ٦٣٢ هـ إلى كيخسرو الأول، ملك قونية، يعدد ٢٤٠ عنوانًا من مؤلفاته. وقد قدر الشعراني عدد مؤلفاته بحوالي ٤٠٠، وجامي بأكثر من ٥٠٠، وعثمان يحيى ٨٤٨، وويليام تشيتيك بأكثر من ٩٠٠.» (ابن عربي، ١٣٨٦ هـ ش: ٣٥) في هذه الرواية، يشار من حين لآخر إلى انشغال ابن عربي بكتابة الشعر، وأكثر من ذلك، بكتابة الكتب. وقد أدت علاقته بنظام إلى تأليف قصائد، جاءت بعض أبياتها في الرواية. «ليت شعري هل دروا أي قلب ملكوا.» (علوان، ٢٠١٦: ٣٢١) «وفؤادي لو درى أي شِعب سلكوا.» (المرجع نفسه: ٣٢٢)

في مكة، يلاحظ الشيخ زاهر أن ابن عربي قد أوقف دروسه. يسأل عن السبب. يجيب ابن عربي بأنه يؤلف كتاب *"الفتوحات المكية"* ويتحدث عن موضوعه: «عن جميع ما فتحه الله علي من فنون المعارف في مكة. أسمّيه الفتح المكي.» (المرجع نفسه: ٣٢٨) إن وجود هذه الأعمال العلمية والأدبية جعل ابن عربي يتمتع بمكانة رفيعة ويفتح آفاقًا جديدة أمام الباحثين عن العلم والمعرفة.

التركيز على حل المشاكل

لدى الأشخاص الذين حققوا ذواتهم رسالة في الحياة ويعملون بجد لتحقيقها. يعدّ التركيز على حل المشاكل إحدى السمات المميزة لهم، وفقًا لأبراهام ماسلو. تعني هذه الخاصية أنهم، بدلًا من التركيز بشكل رئيسي على مشاكلهم وهمومهم الشخصية والداخلية، يميلون إلى تركيز انتباههم على المشاكل والقضايا الخارجية، وخاصةً القضايا الاجتماعية والفلسفية والعالمية. غالبًا ما يرى هؤلاء الأشخاص أنفسهم جزءًا من كيان أكبر، ولديهم شعور برسالة أو هدف في الحياة. فهم لا يرون المشاكل فحسب، بل يشعرون أيضًا بمسؤولية حلها ويشاركون بفعالية في إيجاد حلول لها. يقول ماسلو: «الأفراد الذين يحققون ذواتهم يميلون إلى التركيز على المشاكل أكثر من التركيز على الذات. بشكل عام، لا يهتمون كثيرًا بأنفسهم. هؤلاء الأفراد لديهم رسالة في الحياة ولديهم واجب يقع على عاتقهم، لديهم مشكلة خارج ذواتهم ويشعرون بالمسؤولية

تجاهها.» (ماسلو، ١٣٧٢: ٢٢٣) مواجهة المشاكل والسعى لحلها يوفر فرصًا للتعلم والنمو والتنمية الشخصية. حل المشاكل يمنح معنى لحياة للفرد. وجود مشكلة يدفع الإنسان إلى عدم اعتبار الحياة بلا معنى، ويسعى بجدية وراء تلك المشكلة فى حياته.

الهمّ والمشكلة الأساسية لابن عربى فى حياته كلها كانت الوصول إلى المحبوب والمعشوق الحقيقى، أى الله. جميع الأنشطة التى يقوم بها فى حياته؛ الرحلات والعلاقات الاجتماعية والحضور أمام كبار العلماء والعرفاء والعزلة والانعزال إلخ، كلها فى سبيل تحقيق هذا الهدف. ينتقد ابن عربى الفلسفة أمام الخليفة على النحو التالى: «يا أميرالمؤمنين، إن الفلسفة هى محبة الحكمة. وليس كل من أحب محبوبا نال وصاله.» (علوان، ٢٠١٦: ١٦١) يحدّد ابن عربى والعرفاء بشكل عام هدفهم فى الوصول إلى المعشوق؛ وليس مجرد معرفته. «وعلى مثل هذه الحال التى يكون القلب فيها مفتوحا على مهب الجهات الأربع أفاض الله على من علمه اللدنى معارج عقلية ما صعدتها من قبل، ومقامات روحانية ما بلغتها قط ...» (المرجع نفسه: ١٧٤-١٧٣) تظهر حياة ابن عربى بأكملها فى هذه الرواية هذا السعى الدؤوب للوصول إلى الله.

النتيجة

أظهر تحليل شخصية ابن عربى بناءً على هرم ماسلو للاحتياجات أنه سعى منذ طفولته إلى تحقيق الذات. وقد وصل إلى تحقيق الذات من خلال تلبية الاحتياجات الأساسية. فى هذه الرواية، ذُكرت أمثلة من حالات تلبية الاحتياجات الفسيولوجية والأمنية والاجتماعية واحتياجات التقدير. من أبرز جوانب تحقيق الذات لابن عربى هى مقاومته للانصهار الثقافى، والانعزال والحاجة إلى الخلوة، والتركيز على حل المشاكل. أدّت مقاومة الانصهار الثقافى إلى امتناعه عن التواجد فى بلاط الملوك وأصحاب السلطة، والابتعاد عن مصاحبة أرباب القدرة. كما أدت إلى عدم اتباع ابن عربى طريق التبعية والطاعة فى مواجهة العلماء والوجهاء فى عصره، بل وجد طريق السمو بنفسه وسلكه. هذه المقاومة للانصهار الثقافى هى التى أدت به فى نهاية حياته إلى الاستبعاد من الدوائر الدينية الرسمية، والعيش من خلال البستنة، وفى النهاية توفى

في الغربة والعزلة.

الانعـــزال والحاجة إلى الخلوة هي طريقة اســـتخدمها ابن عربي في جميع مراحل حياته. وقد اســـتغل هـــذه الطريقة في أجزاء كثيرة من الروايـــة للحصول على معرفة جديدة، وتحسين حالته النفســـية والروحية، واكتساب المزيد من القوة لمواصلة المسار. هذه العزلة والحاجة إلى الخلوة تُلاحظ بكثرة في حياة العديد من العرفاء، ســـواء في العالم الإســـلامي أو خارجه؛ لذا، فإن ابن عربي ليس اســـتثناءً من هذه القاعدة وقد اســـتفاد منها إلى أقصـــى حد. حتى أنه في جزء من هـــذه الرواية، يذهب إلى المقبرة لتحقيق هذا الهدف المهم، ويواجه رد فعل عنيف من والده.

التركيز على حل المشاكل هو جانب آخر من جوانب تحقيق الذات في شخصية ابن عربي. المشكلة التي ســـعى ابن عربي لحلها طوال حياته هي الوصول إلى الله. فاطمة بانو بنت مثنى، التي دعته إلى تطهير قلبه، كانت تساعده بالضبط على الوصول إلى الله. البحث عن الأقطـــاب الأربعة المذكورين في الرواية، هو للوصول إلى الله. يمكن القول أن حياة ابن عربي هي مسار نحو الوصول إلى الله.

المصادر والمراجع

العربية:

القرآن الكريم.

ابن حيون، النعمان بن محمد بن المغربي. (١٣٨٥ هـ ق). *دعائم الإسلام*. قم: مؤسسة آل البيت (ع).

علوان، محمد حسن. (٢٠١٦). *موت صغير*. بيروت: دار الساقي.

الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٧٥ هـ ش). *الكافي*. طهران: أسوه.

مبروك، رشـــا محمد علي. (٢٠١١). *الحاجات النفســـية في ضوء نظرية ماســـلو (دراسة مقارنة بين الكفيف والمبصر)*. رســـالة دكتوراه، المشرف: فوقية حسن عبدالحميد رضوان وآمال العرباوي مهدي. جامعة بورسعيد.

محمد، سيد عبدالرحمن. (١٩٩٨). *نظريات الشخصية*. القاهرة: قباء.

الفارسية:

ابن عربي، محمد بن علي. (١٣٨٦ هـ ش). *فصوص الحكم*. تقديم، ترجمة النص، شـــرح وتحليل: محمد علي موحد وصمد موحد. طهران: كارنامه.

أبو زيد، نصر حامد. (١٣٨٥ هـ ش). *هكذا تكلم ابن عربى*. ترجمة: إحسان موسوى خلخالى. طهران: نيلوفر.

تشـــيتيک، ويليام. (١٣٩٣ هـ ش). *ابن عربى وريث الأنبياء*. ترجمـــة: هوشمند دهقان. طهران: پيام امروز.

حافظ، شمس الدين محمد. (١٣٧٦ هـ ش). *ديوان حافظ*. تصحيح: هوشنک ابتهاج. طهران: كارنامه.

رايكمان، ريتشارد. (١٣٩٦ هـ ش). *نظريات الشخصية*. ترجمة: مهرداد فيروزبخت. طهران: أرسبران.

ســـيف، على أكبر. (١٣٩٠ هـ ش). *علم النفس التربوى الحديث؛ علم نفس التعلم والتعليم*. طهران: دوران.

شاملو، ســـعيد. (١٣٨٨ هـ ش). *مدارس ونظريات فى علم نفس الشخصية*. الطبعة التاسعة. طهران: رشد.

شولتز، دوان؛ سيدنى آلن شولتز. (١٣٨٩ هـ ش). *نظريات الشخصية*. ترجمة: يحيى سيدمحمدى. طهران: نشر ويرايش.

فيســـت، جس؛ غريغورى جى فيست. (١٣٩٠ هـ ش). *نظريات الشخصية*. ترجمة: يحيى سيد محمدى. طهران: روان.

كريمى، يوسف. (١٣٧٤ هـ ش). *علم نفس الشخصية*. الطبعة السادسة. طهران: رشد.

كنجى، حمزه. (١٣٩١ هـ ش). *علم النفس العام*. طهران: سافالان.

ماســـلو، أبراهام. (١٣٧٢ هـ ش). *آفاق أسمى للطبيعة البشرية*. ترجمة: أحمد رضوانى. مشهد: آستان قدس رضوى.

ـــــــــــــ (١٣٦٩ هـ ش). *الدافعية والشـــخصية*. ترجمة: أحمد رضوانى. مشهد: آستان قدس رضوى.

ـــــــــــــ (١٣٦٧ هـ ش). ســـيكولوجية *الشخصية السليمة*. ترجمة: شيوا رويكريان. طهران: هدف.

مطهرى، مرتضى. (١٣٨١ هـ ش). *الإنسان الكامل*. طهران: صدرا.

مولوى، جلال الدين، (١٣٧٤ش)، *ديوان شمس*، طهران: منشورات راد.

ميرآخورى، قاســـم وحيدر شـــجاعى. (١٣٧٦ هـ ش). *قاموس التعبيرات العرفانية لمحيى الدين ابن عربى*. طهران: جامى.

ميرصادقى، جمال؛ مهاجر، ميمانت. (٢٠١١). *عناصر الخيال*. الطبعة الخامســـة. طهران: منشـــورات سخن.

يثربى، يحيى. (١٣٩٧ هـ ش). *خداع السراب: بحث فى معرفة وتقييم ونقد التصوف*. قم: فروغ فردا.